باب المقالات

الحياة المالية* بالتربية الاجتماعية

(هذا ماوعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة المالية في الجزء السابق)

ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنية أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب وكل قطر معلول لعلة واحدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية ونظام الحكومة والأخذ بعادات أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ويحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل الى المكابرة فيه الا ممن كان أعمى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر مغروراً بحال قومه في حاضرهم أوماضيهم وكأني بمن تعود منهم قراءة الكلام المعقول في المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سمى هذه القضية البديهية اليقين عنده تخيلا وحسباناً .

لاتعجلوا بالإنكار عليّ فلست بمنكر فائدة تلك العلوم ولا أقول ان أمة تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد تاهزوا ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لايزيد سنهم في المدنية على ربع القرن الا قليلا . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة شرقية وأكبر دولة غربية وطفقت ترث الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأيّ أثر لتقليد أوربا تحمدون ، وأيّ فائدة له في أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنّى وكل ما عرفته هذه البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لا من الأهالي ولاتزال الحكومة

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يعتد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين في مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجانب ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحاناً مبيناً ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعاً للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوربا واليابان على ماقاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الاغنياء الذين يشتركون فيها وتمر عليهم السنون ولا يؤدون اليها مافرضوه على أنفسهم لاعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنينا وشكوى من حكومتهم وطعناً في سلطانهم واتي على اعترافي لهم بأنهم في مجموعهم أرقى من المصريين علماً وأخلاقاً وأقوى عزيمة واستقلالا أقول ما قاله كبير من كبرائهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة «المابين» نعترف للعالم علناً بأننا لسنا أمة اذ لو كنا أمة لما قدر رجل واحد على أن يفعل فينا مايشاء ويحكم مايريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية التي فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها ، فهؤلاء الخائضون منافي السلطان انما يصفقون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو اذاً لم يستفد من تقليد أوربا ما اعتزت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة أثراً من آثار خيانة هؤلاء المقلدين أوربا المعبر عنهم بالمتفرنجين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفنن بها من مدنية أوربا

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة نفوذها فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وماقوينا وبعدنا عن الاستقلال ولم نقرب منه فلماذا كان هذا منتهى حظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة ؟ وكيف السبيل الى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرثها ودمها أم كيف السبيل الى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في اصلاح شأنها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البوتقة لتذيبها وتنقيها من أوضارها فاذا صلحت حال هاتين الحكومتين فان فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا، واذا جعلنا الكلام في الشعوب والملل، لا في الحكومات والدول، فاننا لا نجهل أننا قد دفعنا من صدرها الى عجزها، وصرنا الى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها، فماذا يجب علينا من العمل، قبل أن ينقطع منا الأمل ؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضنا ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثة في جميع الأعضاء مادامت الأعضاء متصلة فاذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة اذ لا حياة له في نفسه . واننا لا نشعر الآن بهذه الحياة وانما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمهندس والطبيب والفقيه والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخفير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوسل الى رزقه ومعيشته بنفسه وأهله لا يلاحظ مصلحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لا ينبسط الى أكثر مما ينبسط له وجود بعض الذباب والحشرات على ما شرحناه في مقالة روابط الجنسية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لا حظ فيها عندنا لما يسمونه الهيأة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا أجزائها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال، فصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الخزف والودع الى مرتبة الخرز زجاجاً كان أو جوهراً مع بقاء كل خرزة منفردة عن الأخرى اذ لا سلك

هنالك تنتظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقدا . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية و بناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الأستانة يقول: ان المسلمين لا ينتفعون بشيء من هذه العلوم التي يتعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه. أوما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتني أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه

مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المعدن أو الجوهر ليُنتفع بها في الجملة ولا يبالي أكانت حبة في عقد أو فصاً لخاتم أو كمثل من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يبني ولا يعنيه أمر الباني أكان يريد مسجد صلاة أم هيكل أوثان. وأما المربي المالي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدبر لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهدون له العمل ويهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيء أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون منا هم الذين مكنوا الأجانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا في التشرف بهم الى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الامم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا المالية التي هي سلك اجتماعنا وينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا الا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الاصلاح منا في الدعوة الى هذه التربية والسعي لها وازالة العقبتين اللتين ذكرناهما في مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك .

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظارا لما يمليه الفكر حتى اذا انتهى الى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الاولى ري فلم يقف الا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقفته خاتمة المقالة . فالقلم لوقوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصوير مل ، انتقل من إملاء الواجبات التي يعلمها الى البحث عن العاملين الذين

يجهلهم ، كأن صائحا أهاب به . قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تطالب من لا يعمل ، . فوقف هنيهة ثم أنشأ يجوب البلاد و يتصفح الوجوه فرأى أن أكثر الذين يقولون ما يقال ، ويقدرون على الأعمال أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول ، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكلون اليه تدبير الأمور ، ثم عاد الى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السجام ، وتذكر أن الامة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وانما فقدت زعامته وامامته ، فانها لم تكد تشعر بأنه رب السلك ، ور بان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام

هذا ما كان من الفكر في سكوته عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان وعد القلم به فوفاه ،

يجب على العامل في مصر والهند مالا يجب على العامل في الأستانة والشام ، ويطلب من المصلح فى تونس والجزائر ، مالا يطلب من المصلح في فارس أو قزان ، ولا أذكر مراكش اذ ليس فيها — على ما أظن — رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متمزقة في بلاد متفرقة ، وليس لشعب منها من الحرية فى العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسلمي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من العزيمة والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعا لانتفاع المسلمين بالمصريين فان دعوتهم لا تزال ضعيفة لا يخشى أن تفصل هذا العضو من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند بأمن من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عملهم الاسلام نفسه لا لهوى أمير أو مليك ، ولا اتكالا على دولة أو حكومة ، ولا لأجل مقاومة السلطة ، أو معاندة

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكلترا اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الغرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يغرهم بألمانيا و يغريهم بمناصبة القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية.

يخدع بعض المصريين أنفسهم و يخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة الكلام في ذم كل عمل للمحتلين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأكثرون منهم و يوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمته في مصر فهو على خطر ايقاع الانكليز به لان الحرية التي عندهم لا تعدو اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلاً لمحطي فيما يقول و يزعم فان القول لا يزلزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آنسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إحباطه وهم هم الذين يلعبون بالأمم والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فانهم لا يصدونه عن السبيل ، ولا يقيمون في وجهه العراقيل ، وقد ارتقى وثنيو الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبينا والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم ، ولا أيقظوا النائم ، ولما انتبه المسلمون من نومهم ، ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ، قال لهم الانكليز إن تعملوا لأنفسكم فانا مسعدون ، وإن تهملوا شؤونكم فنحن لكم إلا مهملون

الانكليز قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لا يحركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تكين ما تحرك من نفسه أو حركه خصم آخر يناظرهم ، لا يماندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أو عمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم ما لا يرضونه من الجاهل ، ويعاملون الشعب المستقل المتحد بغير ما يعاملون به الشعب المستذل المستعبد ، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل ، وما أجهل من يقول لماذا لا يعملون لنا ما لا نعمل لانفسنا انهم اذاً أعداؤنا . نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما نقتحم به عقبة السياسة في مصر والهند أعيده مختصرا وهو أن يكون

عملنا لاحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالمة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالمة القوة الا ترك العبث بمقاومتها لاجل قوة خارجية سواها . أما مطالبتها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالمة ولا يقتضي المقاومة واذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فان طلبها لا يكاد يرد اذا كان معقولا فان العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما اذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة أمة الا بالحياة الملية التي ندعو اليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج الى مصانعتهم لدنيا أريدها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم في استعمار البلاد وتدبير أمور الأمم عني . ولو كنت أصانع لكنت أحوج الى مصانعة العوام بمجاراتهم على أهوائهم لتزداد مجلتي رواجاً فيهم أو بعض الكبراء الذين يبذلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون ان شاء الله تعالى . ان أريد الا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الامة من علمهم . الطائفة الاولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الامة يصدهم عن العمل لها اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل لملته لانهم أعدؤها ولا قدرة لنا عليهم فعلينا السكون والسكوت وهؤلاء هم الواهمون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للامة والمحيي للملة وانما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يعمله المحتلون البلاد ضار فان كان نافعاً في الظاهر فهو ضار في الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويقبح أعمالهم ويظهر الميل الى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهؤلاء هم المخدوعون . فأولئك لجهلهم لا يعملون بعلمهم النافع وهؤلاء لحمقهم يقولون ما لا يفعلون ، والفارون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدرها العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصريين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فهم مو

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم . فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فانا له شاكرون، ولرأيه ناشرون، نعم ان حكومة فارس (ايران) لا تعادي العلم، ولا تمنع الاجتماع ، ولكن الشعب نائم، يحلم بظهور المهدي القائم ، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها ، وما أحوجها الى يقظة شعبها ، قبل أن يفرغ لها الجاران، فتقتالها الغيلان،

بينا معنى الحياة المالية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعمها نفعاً للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحطة وأنها على انحلالها موضع للأمل وأنه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أحرى الناس بالعمل والسعي لها مسلمو الهند ومصر — ويليهم مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة — وان ما يمنعهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أو جهالة يمدها الخداع والغرور . هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب موثقاً للرابطة المالية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين ، وخطباء مؤثرين ، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد انماء ثروة الامة بغنى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال فى العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس، وعلى حب الأمة وشرف الملة. والكافل لهذه الاركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين بينا وظيفتهم. وههنا تعترضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين — والعامة من ورائهم — بهذه الطريقة للتعليم الديني وبفائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم. على أن أمر هؤلاء أهون، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر، واذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدهم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فاننا نأمن معارضتهم ومناصبتهم لنا في تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم فى هذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدبر العام رب السلك وناظم العقد

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأسست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعد لها عدتها وعزم على جمع المال لها فى هذا الشتاء، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء، وقد كان مضطلعاً بهذا الامر ولعله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله. أما إنشاء الجمعيات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والغيرة من مسلمي مصر والهند وقزان وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنهم، وحيف زمنهم، وضعف مُنَنهم، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر، فهم أحق بالاجتهاد وأجدر، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنفثه الاخطار في الصدور، لا مما تبثه الافكار في السطور، وكل ميسر لما خلق له، «ألا الى الله تصير الأمور»